﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾ [المجادلة: 22]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

موالاةُ أعداءِ اللهِ خَطَرٌ عظيم

لمّا ظهَرَ مِمّا سبَقَ أنَّ مَنْ والاهُ سبحانَهُ كانَ فائزًا، ومَنْ عاداهُ كانَ خاسرًا كانَتْ نتيجةُ ذلكَ التَّحذيرَ مِنْ موالاةِ أعداءِ اللهِ[1]، فتكونُ هذهِ الآيةُ في معنى الذَّمِّ للمُنافقينَ الموالينَ لليهودِ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُوَآدُّونَ﴾: (ودد) أصلٌ يدلُّ على المحبَّةِ[3]، ومِنْ ذلكَ يقال: ودِدْتُ الرَّجلَ أوَدُّهُ وُدًّا؛ أي: أحببتُهُ[4]، والوَدودُ: المُحِبُّ، والوُدُّ يكونُ في جميعِ مَداخلِ الخيرِ[5]، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى: 23]، والوُدُّ أيضًا: تَمَنّي كونِ الشَّيءِ[6]، قال تعالى: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ﴾ [آل عمران: 69][7]. ومعنى ﴿يُوَآدُّونَ﴾ هنا: يكونُ بينَهما لطفٌ[8] ومحبَّةٌ.

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 396.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 282، وابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 58.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ودد).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (ودد).
(5) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (ودد).
(6) الراغب، المفردات: (ودد).
(7) الراغب، المفردات: (ودد).
(8) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 282.

2) ﴿عَشِيرَتَهُمْ﴾: (عشر) أصلٌ يدلُّ على مُداخَلةٍ ومُخالَطةٍ[1]، وعشيرُكَ: الَّذي يُعاشِرُكَ؛ أمرُكما واحدٌ، وإنَّما سُمِّيَتْ عشيرةَ الرَّجل؛ لمعاشرة بعضِهم بعضًا[2]، والزَّوجُ عشيرُ امرأتِه؛ لأنَّهُ يُعاشِرُها وتُعاشِرُهُ[3]، والعشيرُ: المُعاشِرُ، كالصَّديق والمُصادِق. وبه فُسِّرَ قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾ [الحجّ: 13][4]، والمَعْشَر: كلُّ جماعةٍ أمرُهم واحدٌ، نحو: معشر المسلمين، والإنسُ مَعْشَرٌ، والجنُّ مَعْشَرٌ[5]. والمراد بالعشيرة هنا: الأقاربُ والجماعة الَّذين أمرُهم واحدٌ.

3) ﴿وَأَيَّدَهُم﴾: (أيد) أصلٌ يدلُّ على القوَّةِ والحفظِ[6]، ومِنْ ذلكَ: الأيْدُ، وهو القوَّةُ الشَّديدةُ[7]، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ [الذّاريات: 47]؛ أي: بقوَّةٍ، وقال: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ [ص: 17]؛ أي: ذا القوَّة، والتَّأييدُ: التَّقويةُ، يقال: أيَّده اللّه؛ أي: قوّاهُ[8]، وكلُّ شيءٍ كانَ واقيًا لشيءٍ وحافظًا لهُ فهو إيادُهُ[9]. والمرادُ بالتَّأييدِ هنا: التَّقويةُ والنَّصرُ[10].

4) ﴿بِرُوحٍ﴾: (روح) أصلٌ يدلُّ على سَعَةٍ وفُسْحةٍ واطِّرادٍ، وأصلُ ذلك كلِّه الرّيحُ، وأصل الياء في الرّيح الواو، وإنما قُلبتْ ياءً لكسرِ ما قبلها[11]، والرَّوحُ: بَرْدُ نسيمِ الرّيح، قال تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة: 89]؛ أي: فاستراحةٌ وبردٌ[12]، وراحَ الشَّجرُ: وجدَ الرّيحَ وأحسَّها[13]، والرّوح: النَّفسُ الَّتي يحيا بها البدنُ، يقال: خرجَتْ روحُهُ؛ أي: نفسُهُ[14]. والمراد بالرّوح هنا: النّور والهدى والتَّوفيق[15].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عشر).
(2) الخليل، العين: (عشر).
(3) الأزهري، تهذيب اللغة: (عشر).
(4) الزبيدي، تاج العروس: (عشر).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (عشر).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أيد).
(7) الخليل، العين، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات: (أيد).
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أيد).
(9) الخليل، العين: (أيد).
(10) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 308، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 224.
(11) ابن فارس، مقاييس اللغة: (روح).
(12) الأزهري، تهذيب اللغة: (روح).
(13) ابن منظور، لسان العرب: (روح).
(14) الخليل، العين: (روح).
(15) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 23/ 257 - 258.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مَـنْ كـانَ ولاؤُهُ للهِ نالَ في الدُّنيا والآخرةِ مُناه

ينهَى اللّهُ تعالى عن موادَّةِ أعدائِهِ، فيقولُ: لا تجدُ - يا محمَّدُ، أو أيُّها المخاطَبُ - قومًا يُصدِّقونَ اللّهَ، ويُقِرّونَ باليومِ الآخرِ يوادّونَ مَنْ خالَفَ اللّهَ ورسولَهُ، ولو كانَ هؤلاءِ المُحادّونَ أقربَ النّاسِ إليهم كآبائِهم وأبنائِهم وإخوانِهم وعشيرتِهم. هؤلاءِ الَّذينَ لا يوادّونَ مَنْ خالفَ اللّهَ ورسولَهُ ثبَّتَ اللّهُ في قلوبِهم الإيمانَ، وقوّاهم بنورٍ منهُ وهدًى وتوفيقٍ، ونصرَهم على أعدائِهم، ويُدخِلُهم يومَ القيامةِ بساتينَ تجري مِنْ تحتِ أشجارِها الأنهارُ ماكثينَ فيها أبدًا، قَبِلَ اللّهُ أعمالَهم، ورضيَ عنهم، وفرحوا بما آتاهم. أولئكَ الَّذينَ هذهِ صفتُهم جندُ اللّهِ وأولياؤُهُ، ألا إنَّ جندَ اللّهِ وأولياءَهُ هم الفائزونَ بخيري الدُّنيا والآخرةِ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فَصْلِ مَطْلَعِ الآيةِ ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا﴾:

التَّحذيرُ مِن سُلوكِ سبيلِ المُنافقينَ في موالاةِ أعداءِ اللّهِ

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّهُ كلامٌ مُستأنَفٌ جيءَ بهِ لإفادةِ غرضٍ جديدٍ، وهو التَّحذيرُ مِنْ موالاةِ أعداءِ اللّهِ الَّتي كانَ يَفعَلُها المنافقونَ.

تعيينُ المُخاطَبِ في ﴿لَّا تَجِدُ﴾:

النَّبيُّ ﷺ هو المُكَلَّفُ بالإبلاغِ

الخطابُ في قولِهِ تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ للنَّبيِّ عليهِ ﷺ[2]، والمقصودُ منهُ أمرُهُ بإبلاغِ المسلمينَ مضمونَ هذهِ الآيةِ[3].

الخِطابُ لكلِّ أحَد

ويُحتمَلُ أنْ يكونَ الخطابُ لكلِّ أحدٍ[4]، كأنَّهُ قيلَ: أيُّها المخاطَبُ،

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 23/ 257 - 258.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 223، والشوكاني، فتح القدير: 5/ 231، والآلوسي، روح المعاني: 14/ 228.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 59.

(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 223، والشوكاني، فتح القدير: 5/ 231، والآلوسي، روح المعاني: 14/ 228.

إنَّكَ إذا تَقَصَّيتَ في الدُّنيا قومًا قومًا فلا تجدُ قومًا يجمعونَ بينَ الإيمانِ باللهِ وبينَ موادَّةِ أعدائِهِ[1].

سِرُّ افتتاحِ الآيةِ بـ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا﴾:

حالُ مَنْ يوادُّ المُحادّينَ عَجيب

افتتاحُ الكلامِ بـ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا﴾ الآية، يُثيرُ تشويقًا إلى معرفةِ حالِ هؤلاءِ القومِ، وما سيُساقُ في شأنِهم مِنْ حُكمٍ[2].

حَقُّ موالاةِ المُحادّينَ أنْ يَمتَنِعَ وُجودها

والجملةُ مِنْ بابِ تنزيلِ الموجودِ الكائنِ منزلةَ المعدومِ، وذلكَ بتخييلِ أنَّ مِنَ الممتنعِ المُحالِ أنْ تجدَ قومًا مؤمنينَ يوالونَ المُشركينَ. والغرضُ أنَّهُ لا ينبغي أنْ يكونَ ذلكَ، وحقُّهُ أنْ يَمتَنِعَ ولا يوجَدَ بحالٍ، مُبالَغةً في النَّهيِ عنهُ والزَّجرِ عن مُلابَستِهِ، والتَّوصيةِ بالتَّصلُّبِ في مُجانَبةِ أعداءِ اللهِ، والاحتراسِ مِنْ مُخالطتِهم ومُعاشرتِهم[3].

ويُحتمَلُ أنْ يكونَ المرادُ: لا يَنبغي أنْ يوادّوهم[4]، فيكونُ الكلامُ كنايةً؛ لأنَّهُ لا معنى لنفيِ ثُبوتِ الوِجْدانِ مع وجودِ الموادَّةِ في الواقعِ، فيُرادُ بهِ لازِمُهُ كنايةً؛ لكونِها أبلغَ مِنَ التَّصريحِ[5].

ويُحتمَلُ أنْ يكونَ المرادُ: لا تَجِدُ قومًا كاملي الإيمانِ على هذهِ الحالِ، فالنَّفيُ باقٍ على حقيقتِهِ[6].

بلاغةُ صيغةِ المُضارعِ المَنْفيِّ في ﴿لَّا تَجِدُ﴾:

عدمُ وِجْدانِ الموادّينَ للمُحادّينَ مُستمِرٌّ مُتَجدِّد

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ المَنْفيِّ في قولِهِ تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ عدمَ الوِجْدانِ المذكورَ أمرٌ مُستمرٌّ مُتجدِّدٌ، وفي ذلكَ مزيدُ مبالغةٍ في التَّحذيرِ مِنْ موالاةِ المُحادّينَ.

(1) الطِّيبي، فتوح الغيب: 15/ 296 - 297.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 58.
(3) الزّمخشري، الكشاف: 4/ 497، والطيبي، فتوح الغيب: 15/ 296 - 297.
(4) البيضاوي، أنوار التّنزيل: 5/ 196 - 197.
(5) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 518 - 519، وابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 58.
(6) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 518 - 519، والآلوسي، روح المعاني: 14/ 229.

غرضُ تنكيرِ ﴿قَوْمًا﴾:

المؤمنُ لا يَجمَعُ بينَ الإيمانِ باللهِ وبينَ موادَّةِ أعدائِه

تنكيرُ ﴿قَوْمًا﴾ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا﴾ للعموم؛ لأنَّهُ نكرةٌ في سياقِ النَّفي، كأنَّهُ قيلَ: إذا تَقَصَّيْتَ في الدُّنيا قومًا قومًا فلا تَجِدُ قومًا يَجمَعونَ بينَ الإيمانِ باللهِ وبينَ موادَّةِ أعدائِه[1]. ولإفادةِ ذلكَ اختيرَ الإطنابُ المُناسِبُ للمَقامِ، فلم يُقَلْ: (لا تَجِدُ المُؤمنينَ يوادّونَ إلخ)[2].

سِرُّ وصْفِ القومِ بالإيمان:

المؤمنُ يوادُّ المؤمنينَ لا المُحادّينَ للهِ ورسولِه

وُصِفَ القومُ بالإيمانِ في قولِهِ ﷻ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾؛ لزيادةِ الإنكارِ على مَنْ يوادُّ مَنْ حادَّ اللهَ ورسولَهُ، والمعنى: أنَّهُ لا يَجتمعُ الإيمانُ مع موادَّةِ أعداءِ اللهِ، وذلكَ لأنَّ مَنْ أحبَّ أحدًا امتنَعَ أنْ يُحِبَّ مع ذلكَ عدوَّهُ[3].

دلالةُ صيغةِ المُضارعِ في ﴿يُؤْمِنُونَ﴾:

شأنُ المؤمنِ مُلازَمةُ الإيمانِ والطّاعة

جيءَ بصيغةِ المضارعِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾؛ للدَّلالةِ على تَجَدُّدِ الإيمانِ واستمرارِهِ ودوامِه[4].

معنى الباءِ في ﴿بِٱللَّهِ﴾:

الإيمانُ مُتعلِّقٌ باللهِ واليومِ الآخِر

الباءُ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ للتَّعديةِ، فتُفيدُ أنَّ إيمانَهم يَتعلَّقُ باللهِ تعالى واليومِ الآخرِ.

سرُّ إيثارِ اسمِ الجلالةِ في ﴿بِٱللَّهِ﴾:

ذو العَظَمةِ والجَلالِ يَستَحِقُّ الإفرادَ بالإيمان

عُبِّرَ باسمِ الجلالةِ في قولِهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾؛ لدَلالتِهِ على الأسماءِ الحُسنى والصِّفاتِ العُلا[5] الَّتي تَستَوجِبُ إخلاصَ الإيمانِ لهُ، وإفرادَهُ بهِ.

---

(1) الطّيبي، فتوح الغيب: 15/ 296 - 297.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 519.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 499.
(4) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 396.
(5) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 396.

سِرُّ الاقتِصارِ على اسمِ الجلالةِ واليومِ الآخِر:

العاقِلُ لا يُعَرِّضُ نفسَهُ للعِقاب

اقتُصِرَ في قولِهِ تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ على ركنينِ فقط مِن أركانِ الإيمانِ؛ لأنَّ الإيمانَ باللهِ تعالى هو رأسُ أركانِ الإيمانِ، أمّا اليومُ الآخِرُ فذكرُهُ هنا للتَّذكيرِ بما يَقَعُ فيهِ مِنَ الحسابِ والجزاءِ، والعاقلُ لا يَلقى اللهَ في ذلكَ اليومِ والحالُ أنَّهُ قد كانَ يوادُّ المُحادّينَ للحقِّ ﷻ.

بلاغةُ موقعِ جُملةِ ﴿يُوَآدُّونَ﴾ مِن حيثُ الإعراب:

قُبْحُ اقترانِ الإيمانِ بموادَّةِ أعداءِ اللهِ ورسولِه

الفعلُ ﴿تَجِدُ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ إمّا مُتَعدٍّ إلى اثنينِ، فقولُهُ تعالى: ﴿يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ مفعولُهُ الثّاني، أو إلى واحدٍ، فهو حالٌ مِنْ مفعولِهِ لتخصُّصِهِ بالصِّفةِ، أو صفةٌ أخرى لهُ؛ أي: قومًا جامعينَ بينَ الإيمانِ باللهِ واليومِ الآخرِ وبينَ موادَّةِ أعداءِ اللهِ ورسولِهِ[1]. وأيًّا ما كانَ ففي الكلامِ ما لا يخفَى مِنْ تقبيحِ الجمعِ بينَ الإيمانِ وموادَّةِ أعداءِ الحقِّ.

نكتةُ صيغةِ المضارعِ في ﴿يُوَآدُّونَ﴾:

استِمرارُ الموادّينَ المذكورينَ على فِعْلِهِمُ الشَّنيع

جيءَ بصيغةِ المضارعِ في قولِهِ تعالى: ﴿يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾؛ للتَّحذيرِ من إنشاءِ الموادَّةِ واستمرارِها وتَجَدُّدِها، وفي ذلكَ زيادةُ تشنيعٍ لحالِ الموادّينَ؛ لأنَّهم لو وادّوهم مرَّةً واحدةً لاستُنكِرَ ذلكَ، فكيفَ وهم مُستمِرّونَ على هذا الفعلِ؟!.

صورةُ موادَّةِ أعداءِ الحقِّ قبيحة

ويُحتمَلُ أنْ تكونَ صيغةُ المضارعِ لحكايةِ الحالِ الماضيةِ[2] واستحضارِها؛ للتَّعجيبِ منها واستهجانِها.

بلاغةُ صيغةِ المُفاعَلةِ في ﴿يُوَآدُّونَ﴾:

الوُدُّ يَجلِبُ الوُدّ

أصلُ الموادَّةِ: حُصولُها مِن جانبَينِ، والنَّهيُ في قولِهِ تعالى هنا:

(1) السّمين الحلبي، الدّر المصون: 10/ 274، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 223.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 14/ 229.

﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ إنَّما هو عن مَوَدَّةِ المؤمنِ الكافرينَ، لا عن مقابلةِ الكافرِ المؤمنينَ بالمودَّةِ، وإنَّما جيءَ بصيغةِ المفاعلةِ هنا اعتبارًا بأنَّ شأنَ الوُدِّ أنْ يَجلِبَ وُدًّا مِنَ المودودِ للوادِّ.

وإمّا أنْ تكونَ المُفاعَلةُ كنايةً عن كونِ الوُدِّ صادقًا؛ لأنَّ الوادَّ الصّادقَ يُقابِلُهُ المودودُ بمِثلِهِ، ويُعرَفُ ذلكَ بشواهدِ المُعامَلةِ[1].

حِرْصُ الموادّينَ على صدقِ المَوَدَّة

نكتةُ التَّعبيرِ بالموصولِ ﴿مَنۡ﴾:

جيءَ بالموصولِ ﴿مَنۡ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾؛ للتَّنبيهِ بما في حيِّزِ الصِّلةِ - وهو المُحادَّةُ - على عِلَّةِ استهجانِ هذهِ الموادَّةِ، ولتقبيحِ حالِ المُحادّينَ.

مَن حادَّ اللهَ ورسولَهُ حَريٌّ بالعَداوةِ لا بالموادَّة

وجهُ التَّعبيرِ بالمُحادَّةِ دلالةً وصيغةً:

عُبِّرَ بالمُحادَّةِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾؛ لِما تدلُّ عليهِ مِنَ المُخالفةِ والمُعاداةِ[2]، وكأنَّ المُحادَّ يكونُ في حدٍّ غيرِ حدِّ اللهِ ورسولِهِ، وفي جانبٍ غيرِ جانبِهما، وفي ذلكَ تنبيهٌ على فَرْطِ العَداوةِ والمُخالَفةِ.

فَرْطُ عَداوةِ المُحادّينَ للهِ ورسولِه

وعُبِّرَ بصيغةِ الماضي ﴿حَآدَّ﴾؛ للتَّنبيهِ على أنَّ المُحادَّةَ أمرٌ قد مضَى وتحقَّقَ، كما كانَ يَفعَلُ المنافقونَ في موالاتِهم لليهودِ، وذلكَ يَزيدُ استهجانَ فعلِ الموادّينَ.

موادَّةُ المُحادّينَ للهِ ورسولِهِ مُتحقِّقة

بلاغةُ إظهارِ اسمِ الجلالةِ في ﴿حَآدَّ ٱللَّهَ﴾:

الظّاهرُ أنْ يُقالَ: (حادَّهُ ورسولَهُ)، ولكنْ أُظهِرَ اسمُ الجلالةِ في قولِهِ ﷻ: ﴿حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾؛ لدلالتِهِ على صفاتِ العظمةِ والجلالِ الَّتي توجِبُ عظيمَ جُرْمِ مَنْ يُقدِمُ على مُحادَّتِهِ[3]، وتُقرِّرُ سفاهةَ رأيِهِ؛ إذ حقُّهُ أنْ يواليَهُ لا أنْ يُعاديَهُ.

حَقُّ العظيمِ أنْ يوالَى لا أنْ يُعادَى

(1) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 58.
(2) النّسفي، مدارك التّنزيل: 3/ 453، والقاسمي، محاسن التّأويل: 9/ 178.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 397.

غرضُ الإضافةِ في ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾:

مَن حادَّ المُرسَلَ فقد حادَّ المُرسِل

أُضيفَ الرَّسولُ إلى ضميرِ الجلالةِ في قولِهِ: ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾؛ لتعظيمِ الرَّسولِ وبيانِ منزلتِهِ عندَ اللهِ تعالى؛ فإنَّ مَنْ حادَّهُ فقد حادَّ الَّذي أرسلَهُ[1].

دلالةُ الواوِ في ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ﴾:

مـوالاةُ أعـداءِ اللهِ مَمنوعةٌ في جميعِ الأحوالِ

الواوُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ حاليَّةٌ[2]، والجملةُ حالٌ لتأكيدِ الزَّجرِ عن موالاةِ أعداءِ اللهِ[3] والمبالغةِ في ذلكَ، بذكرِ الأحوالِ الَّتي قد يُقدِمُ فيها المرءُ على التَّرخُّصِ فيما نُهيَ عنهُ بعلَّةِ قُرْبِ القرابةِ[4]. والمرادُ أنَّ المَيْلَ إلى هؤلاءِ أعظمُ أنواعِ المَيْلِ، ومع هذا فيجبُ أنْ يكونَ هذا المَيْلُ مغلوبًا مطروحًا بسببِ الدِّينِ[5].

سرُّ اختيارِ (لو) في الآية:

تأكيدُ المَنْعِ مِن موالاةِ المُحادّينَ للهِ ورسولِه

(لو) في قولِهِ ﷻ: ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ للشَّرطِ، وحُذِفَ جوابُهُ لدلالةِ ما قبلَهُ عليهِ، ومِثلُ هذا الاستعمالِ شائعٌ في كلامِ العربِ، وهو مِن بديعِ تراكيبِ العربيَّةِ. أو (لو) في مثلِهِ مُجَرَّدةٌ عن معنى الشَّرطِ، لا يُقصَدُ بها إلّا المبالغةُ، وتُلقَّبُ بالوَصليَّةِ؛ أي: أنَّها لمُجرَّدِ الوَصلِ والرَّبطِ في مَقامِ التَّأكيدِ[6].

وجهُ استعمالِ ضميرِ الجماعةِ في ﴿كَانُوٓاْ﴾:

مُراعاةُ معنى (مَنْ) بعدَ مُراعاةِ لفظِها

ضميرُ الجمعِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ﴾ راجعٌ إلى ﴿مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، والجمعُ باعتبارِ معنى ﴿مَنْ﴾، كما أنَّ الإفرادَ فيما قبلَهُ باعتبارِ لفظِها[7].

---

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 397.
(2) السّمين الحلبي، الدّر المصون: 10/ 274.
(3) النّسفي، مدارك التّنزيل: 3/ 453.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 59.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 499.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 59، 3/ 306.
(7) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 224، والقاسمي، محاسن التّأويل: 9/ 179.

دلالةُ ﴿أَوْ﴾ في الجُملةِ الحاليَّة:

القَرابةُ أيًّا كانَتْ درجتُها لا تُجيزُ مـوالاةَ أعـداءِ الحَقّ

﴿أَوْ﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ للتَّنويعِ والتَّقسيم، فتفيدُ أنَّ القَرابةَ لا تُجيزُ موالاةَ المُحادّينَ للّهِ ورسولِه أيًّا كانَتْ درجةُ هذهِ القرابة.

غرضُ الإضافةِ في الجُملةِ الحاليَّة:

الإنسانُ يَقطَعُ رجاءَهُ مِنْ غيرِ الله

الإضافةُ في قولِه تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ لاميَّةٌ، فتفيدُ اختصاصَهم بهم وقُربَهم منهم، ومع ذلكَ يجبُ عدمُ موالاتِهم. ومدارُ ذلكَ على أنَّ الإنسانَ يَقطَعُ رجاءَهُ مِنْ غيرِ اللّهِ، وإنْ لم يكنْ كذلكَ لم يكنْ مُخلِصًا في إيمانِه[1].

سِرُّ التَّخصيصِ والتَّرتيبِ في الجُملةِ الحاليَّة:

النَّهيُ شاملٌ لجميعِ القَراباتِ والوَسائِل

معنى قولِه تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾: ولو كانَ المُحادّونَ أقربَ النّاسِ إليهم مطلقًا، فيتناولُ الأمَّهاتِ والزَّوجاتِ والأعمامَ والعمّاتِ وغيرَ ذلكَ. ووجهُ تخصيصِ هؤلاءِ بالذِّكر: أنَّ الأبَ واجبُ الإطاعة، والابنَ أشدُّ محبَّةً بهم، والإخوانَ ناصروهم، والعشيرةَ يَفتَخِرونَ بها، ويَستعينونَ بها في المُلمّات، وللتَّنبيهِ على ذلكَ اختيرَ الإطنابُ، فلم يُقَلْ: (ولو كانوا أولي قُربَى)؛ لأنَّ المقامَ يَقتضي بسطًا في الكلام[2]؛ لاقتلاعِ محبَّةِ أعداءِ اللّهِ تعالى ورسولِه مِنَ النُّفوس.

قـوَّةُ القـرابةِ لا تُجيـزُ مـوالاةَ أعداءِ الله

ورُتِّبَ قولِه تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ بتقديمِ الآباءِ أوَّلًا؛ لأنَّهم تجبُ طاعتُهم على أبنائِهم، ثمَّ ثُنّيَ بالأبناءِ؛ لأنَّهم أعلَقُ بالقلوبِ، وهم حبّاتُها، ثمَّ ثُلِّثَ بالإخوانِ؛ لأنَّهم هم النّاصرونَ؛ ثمَّ رُبِّعَ بالعشيرةِ؛ لأنَّها بها يُستَغاثُ، وعليها

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 397 - 398.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 519.

يُعتمَدُ[1]، فتكونُ أصنافُ القرابةِ في هذهِ الآيةِ قد رُتِّبَتْ على طريقةِ التَّدَلّي مِنَ الأقوى إلى مَنْ دونَهُ؛ لئلّا يُتوهَّمَ أنَّ النَّهيَ خاصٌّ بمَنْ تقوَى فيهِ ظِنَّةُ النَّصيحةِ لهُ والائتمارِ بأمرِهِ[2].

عِلَّةُ فَصْلِ جُملةِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾:

صَريحُ الإيمانِ حامِلٌ على البَراءةِ مِنَ المُحادّين

فُصِلَ قولُهُ ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لِما بينَهما مِنْ شِبْهِ كمالِ الاتِّصالِ؛ لأنَّ هذهِ الجملةَ مُستأنَفةٌ استئنافًا بيانيًّا؛ لأنَّ الأوصافَ السّابقةَ ووقوعَها عَقِبَ ما وُصِفَ بهِ المنافقونَ مِنْ مُحادَّةِ اللهِ ورسولِهِ ﷺ، وما توعَّدَهُمُ اللهُ بهِ ممّا يَستَشرِفُ بعدَهُ السّامعُ إلى ما سيُخبَرُ بهِ عن المُتَّصفينَ بضدِّ ذلكَ، وهم المؤمنونَ الَّذينَ لا يوادّونَ مَنْ حادَّ اللهَ ورسولَهُ ﷺ[3]، فيكونُ في الكلامِ تنبيهٌ على أنَّهُ لا يَحمِلُ على البراءةِ مِنَ المحادّينَ إلّا صريحُ الإيمانِ[4].

نكتةُ التَّعبيرِ بالجُملةِ الاسميَّة:

رُسوخُ الإيمانِ في قُلوبِ مَن لا يوادُّ المُحادّينَ للهِ ورسولِه

جيءَ بالجملةِ الاسميَّةِ في قولِهِ عَزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾؛ للإيماءِ إلى أنَّ كَتْبَ الإيمانِ في قلوبهم حقيقةٌ ثابتةٌ، وفي ذلكَ تنبيهٌ على رُسوخِهم في الإيمانِ، وأنَّهم هم المؤمنونَ حقًّا، وأنَّ الموادّينَ ليسوا راسخينَ في الإيمانِ.

سرُّ التَّعبيرِ باسمِ الإشارةِ للبعيدِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾:

عُلوُّ دَرَجةِ مَن لا يوالي أعداءَ اللهِ ورسولِه

الإشارةُ في قولِهِ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ إلى الَّذينَ لا يوادّونَ أعداءَ الحقِّ وإنْ كانوا أقربَ النّاسِ إليهم[5]. وما في اسمِ الإشارةِ مِنْ معنى البُعدِ لتعظيمِ شأنِهم، وبيانِ رفعةِ درجتِهم في الفَضْلِ[6].

---

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 10/ 131، والخفاجي، عناية القاضي: 8/ 173.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 59.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 60 - 61.
(4) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 398.
(5) البيضاوي، أنوار التّنزيل: 5/ 197، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 224.
(6) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 398، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 224.

سِرُّ التَّعبيرِ بالفعلِ ﴿كَتَبَ﴾ دلالةً وصيغةً:

إثباتُ اللهِ تعالى الإيمانَ في قُلوبِ مَن لا يوالي أعداءَ الحَقّ

في التَّعبيرِ بالكَتْبِ في قولِهِ تعالى: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ لطافةٌ، وذلكَ أنَّ الكَتْبَ في الأصلِ: ضمُّ أديمٍ إلى أديمٍ بالخياطةِ، وضمُّ الحروفِ بعضِها إلى بعضٍ بالخَطِّ، والأصلُ في الكتابةِ النَّظمُ بالخَطِّ، وفي المَقالِ النَّظمُ باللَّفظِ، ويُعبَّرُ بالكتابةِ عن الإثباتِ والتَّقديرِ والإيجابِ والفرْضِ. ووجهُ ذلكَ: أنَّ الشَّيءَ يُرادُ ثمَّ يُقالُ ثمَّ يُكتَبُ، فالإرادةُ مُبتدَأٌ، والكتابةُ منتهًى، ثمَّ يُعبَّرُ عن المرادِ الَّذي هو المبتدأُ إذا أُريدَ بهِ توكيدُهُ بالكتابةِ الَّتي هي المُنتهَى[1]، فيكونُ المعنى هنا: أثْبَتَ وخَلَقَ في قلوبِهم الإيمانَ[2].

نِعْمةُ اللهِ بالإيمانِ سابِقة

وجيءَ بالفعلِ ماضيًا؛ للتَّنبيهِ على أنَّ كَتْبَ الإيمانِ في قلوبِهم أمرٌ قد تحقَّقَ ومَضَى، وفي ذلكَ مُلاءَمةٌ لمَقامِ مدحِهم والثَّناءِ عليهم، وتعدادِ نِعَمِ اللهِ عليهم.

دلالةُ ﴿فِي﴾ مِن القيدِ ﴿فِي قُلُوبِهِمُ﴾:

القُلوبُ أوعيةُ الإيمان

يدلُّ التَّعبيرُ بحرفِ الظَّرفيَّةِ المكانيَّةِ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ على أنَّ قلوبَهم قد جُعِلَتْ أوعيةً للإيمانِ، فأثمَرَ ذلكَ نورَ الباطنِ، واستقامةَ الأعمالِ في الظَّاهرِ[3].

سِرُّ تخصيصِ القُلوبِ بالذِّكر:

القُلوبُ مَنابِتُ الإيمان

خُصَّتِ القلوبُ بالذِّكرِ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾؛ لأنَّها مواضعُ الإيمانِ[4]، وإذا رسَخَ الإيمانُ فيها انعَكَسَ على باقي الجَوارحِ والأركانِ.

---

(1) الطِّيبي، فتوح الغيب: 15/ 298، والآلوسي، روح المعاني: 14/ 229 - 230.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 499، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 308، والمراغي، تفسير المراغي: 28/ 28.

(3) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 399.

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 308.

نكتةُ الإضافةِ في قولِهِ: ﴿قُلُوبِهِمُ﴾:

عِظَمُ المِنَّةِ على مَن أكرَمَهُ اللهُ تعالى بالإيمان

الإضافةُ في قولِهِ ﷻ: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ لاميَّةٌ، فتفيدُ أنَّ كَتْبَ الإيمانِ في قلوبٍ مختصَّةٍ بهم لا في قلوبِ غيرِهم، وهذا أعظمُ في المِنَّةِ.

غرضُ تقديمِ ﴿فِي قُلُوبِهِمُ﴾:

بُشرَى المؤمنِ الصّادقِ مُعجَّلة

قُدِّمَ ﴿فِي قُلُوبِهِمُ﴾ على ﴿ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾؛ للعنايةِ بالمُقدَّمِ والتَّشويقِ للمُؤخَّرِ، وتعجيلِ المَسَرَّةِ للمؤمنينَ الَّذينَ لا يوادّونَ المُحادّينَ عندَ سماعِ هذا الكلامِ.

دلالةُ تعريفِ الإيمانِ:

المؤمنونَ الصّادقونَ يُؤمِنونَ بكلِّ أركانِ الإيمان

تعريفُ الإيمانِ في قولِهِ ﷻ: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ للعهدِ؛ لأنَّ المرادَ بهِ الإيمانُ باللهِ تعالى وباقي أركانِ الإيمانِ.

نكتةُ عَطْفِ ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾:

عَدَمُ موالاةِ أعداءِ اللهِ يكونُ بتأييدٍ مِنَ الله

عُطِفَ قولُهُ تعالى شأنُهُ: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ على قولِهِ: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾؛ لذكرِ نعمةٍ ثانيةٍ منهُ ﷻ على عبادِهِ المؤمنينَ الَّذينَ لا يوادّونَ مَنْ حادَّ اللهَ ورسولَهُ[1].

بلاغةُ صيغةِ الماضي في ﴿وَأَيَّدَهُم﴾:

تأييدُ اللهِ للمؤمنينَ الصّادقينَ مُتحقِّقٌ دائم

جيءَ بصيغةِ الماضي في قولِهِ ﷻ: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾؛ للتَّنبيهِ على أنَّ تأييدَ اللهِ إيّاهم قد حصَلَ وتقرَّرَ، وفيهِ أيضًا دلالةٌ على الدَّوامِ، فهو مُستعمَلٌ في معنييهِ[2].

معنى الباءِ في ﴿بِرُوحٖ﴾:

تأييدُ اللهِ للمؤمنينَ مَصحوبٌ بروحٍ مِنه

الباءُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ للمُصاحبةِ، فتفيدُ أنَّ تأييدَ اللهِ تعالى للمؤمنينَ مصحوبٌ بروحٍ منهُ.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 500.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 61.

بلاغةُ المَجازِ في لفظِ الرّوحِ:

تأييدُ اللهِ المؤمنينَ بالهُدى والنّورِ والتَّوفيقِ وبنصرِهم على عدوِّهم

في التَّعبيرِ بالرّوحِ في قولِهِ تعالى ذكرُهُ: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ لطافةٌ، وذلكَ أنَّ المرادَ: وأيَّدَهم بهُدًى ولُطفٍ ونورٍ وتوفيقٍ مِنْ عندِهِ، حَييَتْ بهِ قلوبُهم[1]، وتسميتُهُ روحًا مَجازٌ مُرسَلٌ؛ لأنَّهُ سببٌ للحياةِ الطَّيِّبةِ الأبديَّةِ، أو استعارةٌ[2]، وهي استعارةٌ تصريحيَّةٌ، فيكونَ المعنى: وأيَّدَهم بنصرٍ منه كالرّوحِ على عدوِّهم، والقرينةُ هي قولُهُ: ﴿وَأَيَّدَهُم﴾، وشُبِّهتْ تلك النُّصرةُ بالرّوحِ؛ لأنَّ بها حياةَ أمرِهم[3].

غرضُ تنكيرِ قولِهِ: ﴿بِرُوحٍ﴾:

هِباتُ اللهِ تعالى عظيمةُ الشَّأنِ

تنكيرُ الرّوحِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ للتَّعظيمِ؛ أي: بروحٍ عظيمِ الشَّأنِ شريفٍ[4]، وأيُّ شيءٍ أشرفُ وأعظمُ مِنَ النّورِ والهدى والتَّوفيقِ والنَّصرِ؟!

دلالةُ (مِنْ) في القيدِ ﴿مِّنْهُ﴾ وبيانُ مَرجِعِ الضَّميرِ:

ما كانَ مِنَ العظيمِ فهو عظيم

معنى قولِهِ تعالى: ﴿مِّنْهُ﴾: مِنْ عندِهِ ﷻ، على أنَّ (مِنْ) ابتدائيَّةٌ والضَّميرُ راجعٌ إلى اللهِ سبحانه، والمرادُ بالرّوحِ: نورُ القلبِ أو نحوُهُ مِمّا تقدَّمَ، ولا يخفَى ما في ذلكَ مِنَ المبالغةِ؛ لأنَّ ما يكونُ منهُ ﷻ عظيمُ الشَّأنِ. أو الضَّميرُ راجع إلى الإيمانِ، والمعنى: مِنَ الإيمانِ، والمرادُ بالرّوحِ الإيمانُ أيضًا، والكلامُ مِنْ قبيلِ التَّجريدِ، فـ (مِنْ) بيانيَّةٌ أو ابتدائيَّةٌ على الخلافِ المشهورِ فيها[5].

نكتةُ عطفِ ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ﴾:

المؤمنُ مُكرَّمٌ في الدُّنيا والآخِرة

قولُهُ تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ

(1) الزّمخشري، الكشاف: 4/ 497، وابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 282.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 14/ 230.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 500.
(4) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 399.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 14/ 230.

فِيهَا﴾ معطوفٌ على ما قبلَهُ، ونكتةُ العطفِ: أنَّ هذهِ الجملةَ بيانٌ لآثارِ رحمتِهِ تعالى الأخرويَّةِ إثرَ بيانِ ألطافِهِ الدُّنيويَّةِ[1].

بلاغةُ التَّعبيرِ بالمُضارعِ في ﴿وَيُدۡخِلُهُمۡ﴾:

إدخالُ المؤمنينَ الجنَّةَ يكونُ في الآخِرة

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾؛ لأنَّهُ الأصلُ في الاستقبالِ، وإدخالُهم الجنَّةَ يكونُ في الآخرةِ[2].

نكتةُ التَّعبيرِ بالجَنّات:

الاستدلالُ بالأشجارِ مِن ألوانِ النَّعيم

عُبِّرَ بالجنّاتِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾؛ لدلالةِ اللَّفظِ على البساتينِ الَّتي تستُرُ داخِلَها مِنْ كثرةِ أشجارِها[3]، وذلكَ إيماءٌ إلى لونٍ عظيمٍ مِنْ ألوانِ النَّعيمِ.

دلالةُ جَمْعِ الجَنّات:

كثرةُ منازلِ الجَنّاتِ وتنوُّعُها

جمعُ الجَنّاتِ في قولِهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ للدَّلالةِ على تنوُّعِها وتعدُّدِها؛ فالجَنّاتُ مَنازلُ ومَراتبُ ودرجاتٌ كثيرةٌ.

غرضُ تنكيرِ ﴿جَنَّٰتٖ﴾:

شأنُ الجَنّاتِ عظيمٌ

تنكيرُ ﴿جَنَّٰتٖ﴾ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لتعظيمِ شأنِ هذهِ الجَنّاتِ وتفخيمِها.

سِرُّ وصْفِ الأنهارِ بالجُملةِ الفعليَّة:

الأنهارُ الجاريةُ مِن ألوانِ النَّعيم

وُصِفَتِ الجَنّاتُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ بجَرَيانِ الأنهارِ مِنْ تحتِها؛ لأنَّ ريَّ أشجارِ الجَنّاتِ يَزيدُ في نَضارتِها، ولأنَّ النَّظرَ إلى مياهِ الأنهارِ مِنْ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 224، والآلوسي، روح المعاني: 14/ 230.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 521، وابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 61.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 399 - 400.

ألوانِ النَّعيم، ولأنَّ جريانَ الأنهارِ في مَجاريها المُعتادةِ يُسبِّبُ كثرةَ الرّياضِ والأشجارِ، والسّاحاتِ والدّيارِ[1].

جَـرَيـانُ الأنـهـارِ مُستمِرٌّ مُتَجدِّد

وصُدِّرَتْ جملةُ الوصفِ بالفعلِ المضارعِ ﴿تَجۡرِي﴾؛ تنبيهًا على استمرارِ الجَرَيانِ وتجدُّدِهِ، وذلكَ يَزيدُ النَّعيمَ والبهجةَ في نفوسِ أهلِ الجنَّةِ، وتعريفًا بدَوامِ تنوُّعِها وزَهرتِها وعظيمِ بَهْجتِها[2].

بلاغةُ المَجازِ في إسنادِ الجَرَيانِ إلى الأنهارِ:

الجَرَيانُ حقيقةٌ لمياهِ الأنهارِ

في إسنادِ الجَرَيانِ إلى الأنهارِ في قولِهِ ﷻ: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ مجازٌ عقليٌّ، علاقتُهُ المَكانيَّةُ؛ لأنَّ الجَرَيانَ في الحقيقةِ للمياهِ، والأنهارُ مكانُ جَرَيانِها.

بلاغةُ ذِكْرِ القيدِ ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾، ومعنى ﴿مِن﴾ فيه:

المـيـاهُ لا تَـعُـمُّ الأرضَ

لمّا كانتِ المياهُ لو عَمَّتِ الأرضَ لا تَترُكُ فيها مُستقرًّا؛ ولو استَغرَقَتِ المكانَ أفسدَتْ أُثْبِتَ القيدُ فقيلَ: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾[3]. و﴿مِن﴾ لابتداءِ الغايةِ المكانيَّةِ، وتدلُّ على أنَّ ماءَها غيرُ مَجلوبٍ، بل كلُّ مكانٍ مِنها مُتَهيِّئٌ لأنْ يَنبُعَ مِنه ماءٌ يَجري؛ لأنَّ أرضَها معدنُ المياهِ، فهي لا تزالُ يانعةً غَضَّةً، وفي ذلك ثباتٌ لبَهْجتِها، ودوامٌ لزَهرتِها ونَضارتِها[4].

غرضُ تقديمِ ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾:

تعجيلُ المَسَرَّةِ بكونِ الجَرَيانِ مِـن تَـحـتِ الجَنّات

قُدِّمَ ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾ على ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ لتعجيلِ المَسَرَّةِ للمؤمنينَ عندَ سماعِ هذا الكلامِ، وللاهتمامِ بالمُقدَّمِ والتَّشويقِ للمُؤخَّرِ.

دلالةُ تعريفِ ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ وجمعِها:

أنـهـارُ الـجـنَّـةِ كثيرةٌ مُتنوِّعة

جُمِعَتِ الأنهارُ في قولِهِ تعالى: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾؛ للدَّلالةِ

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 400.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 5/ 165.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 400.
(4) البقاعي، نظم الدّرر: 4/ 277، 5/ 214.

على كثرةِ أنهارِ الجنّاتِ وتنوُّعِها، كما دَلَّ عليهِ قولُهُ تعالى: ﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ﴾ [محمّد: 15].

في الجَنّاتِ أنهارٌ مَخصوصة

وتعريفُ الأنهارِ في قولِهِ ﷻ: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ للعهدِ؛ إذ المرادُ بها أنهارٌ مخصوصةٌ، وهي أنهارُ الجنَّةِ.

بلاغةُ الحالِ ﴿خَٰلِدِينَ﴾:

النَّعيمُ لا يَكمُلُ إلّا بدَوامِه

جيءَ بالحالِ ﴿خَٰلِدِينَ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَيُدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ﴾؛ لأنَّ النَّعيمَ لا يَكمُلُ ولا يَلَذُّ إلّا بالدَّوامِ[1]؛ فإنَّ انقطاعَهُ - ولو بعدَ زمنٍ طويلٍ - مِمّا يُعكِّرُ صفوَ المُنعَّمِ. و"في معنى لفظِ الخُلودِ إعلامٌ بسكونِ الأنفُسِ إليها؛ لِما فيها مِن موافقتِها"[2].

نكتةُ صَوْغِ ﴿خَٰلِدِينَ﴾ اسمَ فاعلٍ مجموعًا:

مُنادَمةُ الإخوانِ مِن أعلى نعيمِ الجِنان

جيءَ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ المجموعِ في قولِهِ ﷻ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ﴾؛ للتَّنبيهِ على رُسوخِ أهلِ الجنَّةِ في الخُلودِ. و"جَمَعَ الفائزين بدخولِ الجنَّةِ في قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ﴾ تبشيرًا بكثرةِ الواقفِ عندَ هذه الحُدودِ، ولأنَّ مُنادَمةَ الإخوانِ مِن أعلى نعيمِ الجِنان"[3].

سِرُّ تَرْكِ تقييدِ الخُلودِ بالتَّأبيدِ:

مَنْ رضي اللهُ عنه رَزَقَهُ الخُلودَ المؤبَّد

تُرِكَ تقييدُ الخلودِ بالتَّأبيدِ بالقول: (أبدًا) في قولِهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ﴾؛ لأنَّهُ "قد عُلِمَ مِن الرِّضا من الجانبَينِ والحِزْبيَّةِ والإفلاحِ عدمُ الانفكاك عن السَّعادةِ، فأغنى ذلك عن تقييدِ الخُلودِ بالتَّأبيد"[4].

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 400.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 4/ 278.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 5/ 214.
(4) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 401.

دلالةُ (في) مِن قولِهِ: ﴿فِيهَآ﴾:

يَدُلُّ التَّعبيرُ بحرفِ الظَّرفيَّةِ المكانيَّةِ في قولِهِ ﷻ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ على أنَّ الجنّاتِ هي مكانُ خلودِ المؤمنينَ، وما أعظمَ الخلودَ في منازلِ النَّعيمِ!

الجَنّاتُ مَوضِعُ خُلودِ المؤمنين

عِلَّةُ فَصْلِ جُملةِ الرِّضا:

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لِما بينَهما مِنْ شِبْهِ كمالِ الاتِّصالِ؛ لأنَّهُ استئنافٌ جارٍ مَجرَى التَّعليلِ لِما أفاضَ عليهم ربُّهم مِنْ آثارِ رحمتِهِ العاجلةِ والآجلةِ[1]، وفيه تنبيهٌ على أنَّ تلكَ الآثارَ لا تَتِمُّ إلّا برِضا مالِكِها تعالى[2]، وأنَّ رِضاهُ تعالى أكبرُ مِنْ سائرِ النِّعَمِ[3].

رِضا اللهِ تعالى سببُ النَّعيمِ، وهو أعظمُ مِنهُ

بلاغةُ التَّعبيرِ بالرِّضا:

عُبِّرَ بالرِّضا في قولِهِ تعالى: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّهُ تعالى قَبِلَ أعمالَهم، وأنَّهم فَرِحوا بما أعطاهم[4]؛ لأنَّهُ أعطاهم فوقَ ما يُؤَمِّلونَ[5].

قَبولُ اللهِ أعمالَ المؤمنينَ وفَرَحُهم بعَطاءِ الله

نُكتةُ صَوْغِ الفعلَينِ ﴿رَضِيَ﴾ و﴿وَرَضُوا۟﴾ ماضيَين:

جيءَ بفعلَي الرِّضا ماضيَينِ في قولِهِ تعالى: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ رِضا اللهِ تعالى عنهم حاصلٌ مِنَ الماضي ومُحَقَّقُ الدَّوامِ، ورِضاهم عن ربِّهم كذلكَ مُحَقَّقٌ في الدُّنيا بثَباتِهم على الدّينِ ومُعاداةِ أعدائِهِ، وفي المستقبلِ بنَوالِ رِضا اللهِ عنهم، ونَوالِ نعيمِ الخُلودِ[6].

تَحَقُّقُ الرِّضا بثَباتِهم على الدّينِ ومُعاداةِ أعدائِه

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 224، والمراغي، تفسير المراغي: 28/ 28.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 400.
(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 521.
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 309.
(5) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 400.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 61.

سرُّ إظهارِ اسمِ الجلالةِ في ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾:

مَن رَضِيَ عنهُ اللهُ فلا يَأبَهُ بسَخَطِ سِواه

أُظهِرَ اسمُ الجلالةِ في قولِهِ تعالى: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ مع أنَّ مقتضَى الظّاهرِ الإضمارُ؛ للدَّلالةِ على المَلِكِ الأعظمِ الَّذي لهُ الأمرُ كلُّهُ، فلا التِفاتَ إلى غيرِهِ[1]، ولا يَطمَحُ العبدُ لرِضا غيرِهِ، ولا يأبهُ بسَخَطِ سواهُ، ولأنَّ الإظهارَ أنسبُ باستقلالِ الجملةِ.

معنى (عن) في القيدَينِ ﴿عَنْهُمْ﴾ و﴿عَنْهُۚ﴾:

الرِّضا مُتعلِّقٌ باللهِ تعالى وبالمؤمنين

(عن) في قولِ الحقِّ جلَّ ذكرُهُ: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ للتَّعديةِ، فالرِّضا في الجملةِ الأولى مُتعلِّقٌ بهم، وفي الجملةِ الثّانيةِ مُتعلِّقٌ بهِ تعالى.

نكتةُ عطفِ ﴿وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾:

رِضا المؤمنينَ كمالُ سُرورِهم

قولُهُ تعالى: ﴿وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ معطوفٌ على قولِهِ: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾، ونكتةُ العطفِ: أنَّهُ بيانٌ لابتِهاجِهم بما أوتوهُ عاجلًا وآجلًا[2]؛ لأنَّهُ لا يَكمُلُ السُّرورُ إلّا بالرِّضا[3].

عِلَّةُ فَصْلِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ﴾:

كَوْنُ المؤمنينَ حزبَ اللهِ نعمةٌ تَستَحِقُّ المَدح

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّهُ كلامٌ مُستأنَفٌ لبيانِ نعمةٍ جديدةٍ مِنْ نِعَمِ اللهِ تعالى عليهم الَّتي توجِبُ تركَ الموادَّةِ مع أعداءِ اللهِ[4]، ولأنَّهُ لمّا أخبرَ عنهم بما يَسُرُّ كلَّ سامعٍ، فيَشتاقُ إلى مُصاحَبتِهم ومُعاشَرتِهم ومُرافَقتِهم ومُقارَبتِهم مَدَحَهم بأنَّهم حزبُ اللهِ[5].

نكتةُ التَّعبيرِ بالجُملةِ الاسميَّة:

المؤمنونَ حِزْبُ اللهِ على الدَّوام

عُبِّرَ بالجملةِ الاسميَّةِ في قولِ الباري ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ كونَهم حزبَ اللهِ حقيقةٌ ثابتةٌ، لا تتغيَّرُ ولا تتبدَّلُ.

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 400.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 224.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 400.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 500.
(5) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 400.

بلاغةُ التَّعبيرِ باسمِ الإشارةِ للبعيدِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾:

مَن قَصَرَ وُدَّهُ على اللهِ عَظُمَتْ رُتبتُه

عُبِّرَ باسم الإشارةِ للبعيدِ في قولِه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ﴾؛ للتَّنبيهِ على أنَّ المؤمنينَ في الدَّرجةِ العُليا مِنَ العَظَمةِ؛ لأنَّهم قَصَروا وُدَّهم على اللهِ؛ عِلمًا مِنهم بأنَّهُ ليسَ النَّفعُ والضَّرُّ إلّا بيدِهِ[1].

نُكتةُ التَّعبيرِ بالحِزْب:

المؤمنونَ جُندُ اللهِ وأنصارُ دينِهِ

عُبِّرَ بالحزبِ في قولِ الباري ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ﴾؛ لدلالةِ هذهِ الكلمةِ على الجماعةِ الَّذينَ يَجمَعُهم مذهبٌ واحدٌ[2]، فتُفيدُ في هذا السّياقِ أنَّ المؤمنينَ جندُ اللهِ وأنصارُ دينِهِ[3]. و"القوم الَّذين يَجمَعُهم على ما يُرضي المَلِكَ الأعلى ما حَزَبَهم؛ أي: اشتَدَّ عليهم فيه"[4].

براعةُ الإضافةِ في ﴿حِزْبُ ٱللَّهِۚ﴾:

مَنِ انتَسَبَ إلى اللهِ شَرُف

إضافةُ الحزبِ إلى اسمِ الجلالةِ في قولِهِ ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ﴾ للإشعارِ بقُربِهم منهُ، وأنَّهم جماعتُهُ المُختَصّونَ بهِ[5]، وفي هذهِ الإضافةِ أيضًا تشريفٌ لهم عظيمٌ، وتكريمٌ فخيمٌ[6]؛ فهم "جندُ المَلِكِ الأعلى الَّذي أحاطَ بجميعِ صفاتِ الكمالِ وأولياؤُهُ؛ فإنَّهم هم يَغضَبون له ولا يَخافون فيه لومةَ لائم"[7].

سِرُّ إظهارِ اسمِ الجلالةِ في ﴿حِزْبُ ٱللَّهِۚ﴾:

زيادةُ تعظيمِ المؤمنينَ بالانتِسابِ إلى ذي العَظَمةِ والجَلال

الظّاهرُ أنْ يقالَ: (أولئكَ حِزْبُهُ)، وإنَّما عُدِلَ إلى الإظهارِ في قولِهِ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ﴾؛ لدَلالةِ اسمِ الجلالةِ على صفاتِ العظمةِ والجلالِ، وذلكَ يَزيدُ الإضافةَ تشريفًا وفخامةً[8]، ويُناسِبُ استقلالَ الجملةِ.

---

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 400.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 282.
(3) البيضاوي، أنوار التّنزيل: 5/ 197.
(4) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 6/ 194.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 14/ 230.
(6) الشّوكاني، فتح القدير: 5/ 231.
(7) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 400.
(8) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 400.

بلاغةُ الفَصْلِ في جُملةِ الفاصِلة:

اختصاصُ المؤمنينَ بسَعادةِ الدّارَين

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّهُ كلامٌ مُستأنَفٌ لبيانِ اختصاصِ المؤمنينَ بالفوزِ بسعادةِ الدّارين[1]. ثمَّ إنَّه لمّا تبيَّنَ مِمّا أعَدَّ لهم وأعَدَّ لأضدادِهم أنَّهم المُختَصّون بكلِّ خيرٍ فَصَلَ على طريقِ ذكرِ النَّتيجةِ مِمّا مَضى، مُؤكِّدًا لِما لأضدادِهم مِن الأنكادِ، بما في جُملةِ الفاصِلة مِنَ المُؤكِّداتِ[2].

سِرُّ إظهارِ ﴿حِزْبَ ٱللَّهِ﴾:

كَونُهم حِزْبَ اللهِ سببُ فَلاحِهم وتشريفِهم

إظهارُ ﴿حِزْبَ ٱللَّهِ﴾ وتكرارُهُ في قولِهِ تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ دونَ أنْ يُقالَ: (ألا إنَّهم هم المفلحونَ) لزيادةِ تشريفِهم بالإضافةِ إلى المَلِكِ الأعلى سبحانَهُ[3]، وللإشارةِ إلى أنَّ كونَهم حزبَ اللّهِ هو سببُ فلاحِهم[4]، ولتكونَ الجملةُ صالحةً للتَّمثُّلِ بها، مُستقِلَّةً بدَلالتِها.

بلاغةُ تَوالي المُؤكِّداتِ في جُملةِ الفاصِلة:

فَضْلُ اللهِ على المؤمنينَ حَريٌّ بالتَّنويهِ والاهتِمامِ بِه

أُكِّدَ قولُهُ تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ بأداةِ التَّنبيهِ ﴿أَلَآ﴾ وبـ﴿إِنَّ﴾ وباسميَّةِ الجملةِ؛ للتَّنبيهِ على أهمّيَّةِ مضمونِهِ، وتنبيهِ المسلمينَ إلى فضلِهم، وتنبيهِ مَن يَسمَعُ ذلكَ مِنَ المنافقينَ على ما حَبا اللّهُ بِهِ المسلمينَ مِنَ الخيرِ، لعلَّ المنافقينَ يَغبِطونَهم فيُخلِصوا الإسلامَ[5].

بلاغةُ القَصْرِ في جُملةِ الفاصِلة:

المؤمنونَ ظافِرونَ بالفَلاحِ وحْدَهُم

في قولِهِ تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ قصرٌ مُستفادٌ مِنْ تعريفِ الطَّرفينِ وضميرِ الفصلِ، وهو قصرٌ ادِّعائيٌّ للمبالغةِ في فَلاحِهم، والإشارةِ إلى أنَّهم الكاملونَ في الفلاحِ، الَّذينَ صارَ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 224، والآلوسي، روح المعاني: 14/ 230.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 400.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 400 - 401.
(4) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 518.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 61.

فلاحُهم هو الفردَ الكاملَ، حتَّى كأنَّ فلاحَ غيرِهم بالنِّسبةِ إلى فلاحِهم كلا فلاحٍ[1].

دلالةُ تعريفِ ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾:

فَلاحُ المؤمنينَ هو الفَلاحُ الكامِل

تعريفُ المفلحينَ في قولِهِ ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ للجنسِ المُنصرفِ إلى الفردِ الكاملِ[2] مُبالَغةً، كما يَقتَضيهِ مَقامُ القصرِ المذكور. و﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ هم "الَّذين حازوا الظَّفَرَ بكلِّ ما يُؤَمِّلون في الدّارَين"[3].

نكتةُ التَّعبيرِ باسمِ الفاعلِ ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾:

رُسوخُ المؤمنينَ في الفَلاح

عُبِّرَ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ في قولِهِ تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على رُسوخِ المؤمنينَ في هذا الوصفِ؛ لأنَّهم ظَفِروا بخيرَيِ الدُّنيا والآخرةِ.

بلاغةُ المُقابَلةِ بينَ حِزْبِ الشَّيطانِ وحِزْبِ اللهِ:

شتّانَ بينَ المؤمنينَ والمنافقينَ

بينَ قولِهِ تعالى هنا: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، وقولِهِ فيما سبَقَ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة: 19] مُقابَلةٌ، بذكرِ عاقبةِ المُنافقينَ وبيانِ أنَّهم حزبُ الشَّيطانِ، وذكرِ عاقبةِ المؤمنينَ وبيانِ أنَّهم حزبُ اللهِ، والغرضُ مِنْ ذلكَ تأكيدُ النَّهيِ عن موالاةِ أعداءِ اللهِ[4]، والحثُّ على تَرْكِ صفِّهم والانضمامِ لصفِّ المؤمنين، بإظهارِ حُسْنِ عاقبةِ المؤمنينَ وقُبْحِ عاقبةِ المنافقينَ.

بَراعَةُ مُناسَبةِ آخِرِ السّورةِ لأوَّلِها:

وخصَّ اللهُ تعالى المؤمنين بصفةِ الفَلاح، وجَعَلَهم مِن حزبِهِ؛ لأنَّ له العزَّةَ والقوَّةَ والعلمَ والحكمةَ، فلذلك عَلِمَ أمرَ المُجادِلةِ ورَحِمَ

(1) الشّوكاني، فتح القدير: 5/ 231.
(2) الشّوكاني، فتح القدير: 5/ 231.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 401.
(4) الزّمخشري، الكشاف: 4/ 497.

شَكْواها؛ لأنَّها مِن حزبِهِ، وسَمِعَ لها، ومَن سَمِعَ اللّهُ تعالى له فهو مَرْضيٌّ عنه، وحَرَّمَ الظِّهارَ بسببِ شَكْواها إكرامًا لها بحِكمتِهِ؛ لأنَّ الظِّهارَ مُنابِذٌ للحِكمةِ، وفيه امتهانٌ للأُمِّ - الَّتي لها في دينِهِ غايةُ الإكرامِ - بالتَّسويةِ بالزَّوجةِ الَّتي هي مَحَلُّ الافتراشِ، وخَتَمَ آيَها بأنَّ مَنْ تَعَدّى حدودَهُ فعاوَدَ أحوالَ الجاهليَّةِ فهو مُجادِلُهُ سبحانه؛ فهو مِن حزبِ الشَّيطانِ، فقد عادَ آخِرُها إلى أوَّلِها بأدَلِّ دليلٍ، على أحسنِ سبيلٍ[1].

حِزْبُ اللهِ هُمُ المُنقادون لأوامرِهِ، وحِزْبُ الشَّيطانِ هُمُ المُتَعَدّون لحُدودِهِ المُعاوِدون أحوالَ الجاهليَّة

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الوُدُّ والحُبّ:

الحبُّ يكونُ فيما يوجِبُهُ مَيْلُ الطِّباعِ والحِكمةُ جميعًا، والوُدُّ: مَيْلُ الطِّباعِ فقط، تقولُ: أُحِبُّ فلانًا وأوَدُّهُ، وتقولُ: أُحِبُّ الصَّلاةَ، ولا تقولُ: أوَدُّ الصَّلاةَ[2]. والوُدُّ: هو الحُبُّ المَشوبُ بالتَّمنّي[3]. وقد عُبِّرَ بالوُدِّ هنا؛ للتَّنبيهِ على أنَّ موادَّتَهم لأعداءِ اللّهِ ورسولِهِ أمرٌ أقدَموا عليه بموجَبِ الطِّباعِ، ولا تَقتَضيهِ الحكمةُ، بل هو غايةُ السَّفَهِ.

لا حِكمةَ في موادَّةِ أعداءِ الله

القُلوبُ والأفئِدة:

الفُؤادُ ألْيَنُ مِنَ القلبِ، ولذلكَ يكونُ مَحَلًّا للعواطفِ ولِما خفَّ شأنُهُ، ويكونُ القلبُ مَحَلًّا لِما عَظُمَ شأنُهُ مِنَ العَزْمِ والتَّمكُّنِ والاعتقادِ[4]. ولذلكَ عُبِّرَ بهِ هنا؛ لأنَّ الإيمانَ الَّذي كتبَهُ اللّهُ ﷻ في قلوبِهم فيهِ عَزْمٌ وتمكُّنٌ وثَباتٌ.

ثَباتُ إيمانِ المؤمنين

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 401.
(2) العسكري، الفروق، ص: 122.
(3) زيدان، الفروق اللغوية، ص: 458.
(4) زيدان، الفروق اللغوية، ص: 665 - 675.

سُورَةُ الحَشْرِ

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الستون،
سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الستون، سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 60 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-66-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 60 : المجلد الستون، سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-66-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5294607 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"